

سلسلة
الله جل جلاله
(1)
وجود الله

أحمد الجوهري عبد الجواد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله سبحانه وتعالى وبحمده، وصلاة على
رسوله وسلاماً، ورضواناً على صحابته وتابعيهم حتى
نلقاهم، أما بعد، فهذه كلمات يسيرة في قضية "وجود الله"
تلك القضية الضرورية التي لا مساغ للعقل في إنكارها،
التقطتها من كتاب "وجود الله" للعلامة يوسف القرضاوي
- أسكنه الله الفردوس - أسأل الله أن ينفع بها كاتبها
وقارئها ومن كان في عملها بين الكتابة والقراءة إنه خير
مسؤول.

أحمد الجوهري عبد الجواد

لم تشغل مسألة "وجود الله" مساحة من جهود علمائنا التراشييين بسبب أنها مسألة ضرورية تقتضيها الفطرة ولا تحتاج إقامة أدلة نظرية عليها.

وقد أثّرت هذه المسألة في عصرنا، وتبنت دول إنكار وجود الله وانتشرت عداوها في بعض أفراد الأمم، ومنها أمة الإسلام التي لم تتخذ الوقاية اللازمة من دينها ضد هذه الأمراض وسارعت في تقليد غيرها فيما يقوله ويفعله تقليد الأعمى!

وقد أوجب ذلك أن يهتم العلماء بهذه المسألة - التي هي فيه أهم المسائل وأعظمها وأساسها - ويكتبوا فيها، اهتماماً تقدم اهتمامهم بغيرها من المسائل، كما يقتضيه الشرع والعقل؛ تنبيهاً للمؤمنين، وإلزاماً للمعاندين.

لا يكتفي القرآن الكريم بالخبر عن الحقائق الكبرى بل يقيم عليها البراهين ويفند الشبهات، ومن هنا يرضي القلب ويقنع العقل.

ومن تأمل قضايا "الألوهية، والرسالة، والمعاد"
أدرك ذلك.

ولقد سلك مع قضية وجود الله تعالى هذا المسلك
النافع المفيد.

وجدير بأن تتبع هذه الطريقة الكريمة في مدارسنا
ومناهجنا ويستفاد في دعمها بالعلوم والمعارف الحديثة
وتستخدم في إفادة الجماهير بها الوسائل والأدوات
الجديدة، ولا نبقى أسرى الكتب التراثية القديمة في طرقها
ووسائلها.

بعضهم ينكر وجود الله الذي سيحاسبه على
جرائمه ولولا ذلك لأثبت وجود الله، فإنكاره ما هو إلا
وسيلة لقضاء مآربه وتحقيق أغراضه، وتبرير انحرافه.

ولم يزل هؤلاء - وهم معظم الملحدين - بل لم
يزل مجموع الملحدين قلة عبر التاريخ، ولهذا رأينا الأنبياء
والمرسلين صلى الله عليهم وسلم يواجهون جهودهم
لتصفية التوحيد من الشرك وسط إقرار المشركين بوجود

الله تعالى، وجدت نعم تلك الشريعة القليلة وحكى القرآن شيئاً من كلامهم ورد عليهم لكن لم يعرفهم الاهتمام الكبير لأنهم يتحدثون الفطرة والبداية والحس.

إذا كفر الغربيون بالله الكنيسة التي حاربت العلم والفكر والعدل والحرية والخير والنور ويتوسط رجاله بينه وبينهم فإن ذلك من حقهم، لكن لماذا يكفر المسلم بالله الذي يدعوه إلى هذا كله ويرشده إليه ويهديه إليه وهو قريب لا يحتاج إلى واسطة، كيف يفكر المسلم بعقل الغربي الذي يعيش في مكان وظروف وأحوال مختلفة تماماً عنه؟!

هذا شيء عجيب!

وهكذا انتقل بعض إحاد الغرب إلى بعض المسلمين.

من البراهين التي يقدمها العلماء لإثبات وجود الله تعالى: دلالة الفطرة.

ذلك الشعور الذي ينبع من أعماق الإنسان (قلبه، وعقله، وكيانه كله) بضرورة وجود الله الذي يعظم ويخشى ويصدق ويطاع ويرجى ويخاف، وهو شعور لم يأت من تعلم أو تلقين أو اكتساب.

ويكفي الإنسان أن يتجرد من كل شيء ثم يفكر في نفسه وفي الكون ليصل إلى الإيمان بوجود الله تعالى من خلال ذلك.

وهذا الشعور غرسه الله تبارك وتعالى في الإنسان ليذكر به عهده وميثاقه الذي تم بينه وبين ربه سبحانه وهو في عالم الذر.

ومن هنا كانت هذه الدلالة مشتركة بين أبناء آدم جميعاً إلا من شذ عن أصله وعاند فطرته وضاد نقاءه.

ومن البراهين: دلالة الكون.

فلو جرد العقل عن الهوى والتقليد لوصل بأدنى تأمل في الكون وما يحويه إلى الإيمان بوجود الله رب العالمين.

فليفتح الإنسان عينيه ويتأمل، وعقله ويفكر،
وقلبه ليتعظ ويعتبر .

والكون يتضمن أربعة أدلة رئيسة تهدي الإنسان إلى الله
تعالى، هي:

• **دليل الخلق** - خلق الإنسان وخلق الكائنات الحية وغير
الحية، ويسمي البعض هذا الدليل: "دليل الإبداع" أو
"دليل الاختراع".

وقد يعرض البعض هذا الدليل في صورة ويسميه: "دليل
الحركة"، أو أخرى ويسميه: "دليل الحدوث"، أو رابعة
ويسميه: "دليل الإمكان".

• **دليل التسوية**: إحسان الخلق وإكماله واعتداله وتناسبه
وإتقانه، وهذا جلي واضح في الكائنات والأحياء
والإنسان بمستويات بما يجزم معه العاقل أنه صنع
القادر العليم الحكيم.

• **دليل التقدير**: خلق كل شيء بمقدار مناسب للظروف
واف بالمقصود منه بحيث يحقق النفع ويجنب الضرر،

يجزم كل عالم بأنه صنع الخالق الأعلى المقدر المدبر
جل ثناؤه.

- دليل الهداية: خلق الله كل شيء وسواه وقدره وهده إلى عمله، ألهمه إياه وعلمه له وسلكه إليه ويسره له.
هذه دلالة الكون بشعبها هذه الأربعة.

ومن البراهين: دلالة الأخلاق.

فالأزاع الأخلاقي الموجود في نفس الإنسان دليل
على أن هناك غارًا غرسه فيها؛ ليستقيم سير الحياة
وينتظم أمر الجماعة، وذلك هو الله مصدر الخير والرحمة
والجمال، وصدق الحق: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) { (1).

ومن البراهين: دلالة الوحي.

ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام من
الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى والتوحيد ونبد الشرك، وما
أيد الله به أولئك الرسل من آيات منها ما هو باق إلى

(1) سورة الشمس آية (7-9).

اليوم - القرآن الكريم-، وما رفعهم الله إليه من مكانة
ومكن لهم وأبقى ذكرهم بينما أذل أعداءهم وأهلكهم.

ومن البراهين: دلالة التاريخ

إن بني الإنسان كلهم عرفوا الإيمان بالله على
صورة من الصور واعتقدوا بوجود إله يستحق العبادة
والتعظيم وأثرت هذه العقيدة فيهم، وليس هذا الإجماع
منهم على غير حقيقة بل هو دليل يؤكد تلك الحقيقة
الكبرى.

يحجب بعض الناس عن الإيمان بالله تعالى
حجب هم صنعوها.

منها: الانحصار في دائرة الماديات والمحسوسات شأن
الأطفال الذين لا يؤمنون إلا بما يرون رغم أن الموجودات
من حولهم كثيرة يؤمنون بها ولا يحسونها.

ومنها: الغفلة التي تغشاهم فتصيب أفكارهم بالشلل
وقلوبهم بالعقم وتعطل المعرفة والإدراك لديهم فكل همهم

ملء البطون وإشباع الشهوات والتمتع بما تتمتع به
الأنعام.

ومنها: التقليد الذي يلغي شخصية الإنسان ويجعله يفكر
بعقل غيره من معلم أو والد أو زعيم.

ومنها: المكابرة والعناد، يسد أحدهم منافذ الوعي لئلا
يعلمون الهدى، ولهذا فهم لا يفكرون ولا يعقلون ولا
يذكرون ولا يسمعون ومن كانت هذه حاله فلن يهتدي
أبداً.

تلك جميعها حجب من صنع الإنسان بعيدة عن الفطرة
السليمة وعن العقل المستقيم.

الخاتمة:

هذه نهاية الكلمات المختصرة في تلك القضية العظيمة:
"وجود الله"، ونلتقي - بمشيئة الله تعالى - مع القضية
الثانية من هذه القضايا العظيمة في الرسالة الثانية "توحيد
الله"، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

أحمد الجوهري عبد الجواد